# تسارع التغيير فى العصر الحديث

إذا كان القـرن التاسع عشر هو قـرن السيادة للقوى الأوروبيـة ( ومعها الدولة العثمانية من عاصمتها إستانبول ) على مسار السياسة العالمية ، فإن القـرن العشرين ـ فى معظـمه ـ خضع لسيـادة وتأثير قـوى جـديدة ، أو متجددة ، بدأت تظهر ملامحهـا مع أوائل هذا القرن فى شكل « قوىً عظمى » هى: الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا ، واليابان ، ثم ظهرت بعد منتصف القرن قوىً أخرى ذات تأثير مباشر فى السياسات الدولية (كالصين).

وعلى الرغم من أن كـلاً من هذه القـوى العظمى سلك طريقـاً خـاصًّـا به مختلفاً عن غيره فى تطوره ونموه ، إلا أن هنـاك سمات مشتركة تجمع بينها .. فكل من هذه الدول الثلاث تتمتع « بالوفـرة » : فى الاتساع ، وفى السكان ، وفى الإنتـاج الصناعى . وقد حـرصت كل منهـا على التركيز الشـديد فى التصنيع والإنتاج بالجملة ، فتحولت من دولة زراعية تعتمـد اقتصادياتها أساساً على الزراعـة ، إلى مجتمعات مـدنية صناعيـة تعرضت لتغيرات سريعـة متواليـة اقتصادياً واجتماعياً ، أدت إلى تصادمـات بين النظام التقليدى القديم ، وبين التحـديث الضرورى فى الأفكار والمؤسسـات والنظُم .وتعـرضت هذه الدول الثـلاث أيضـا لفترات متراوحـة بين العـزلة والانطواء على نفسهـا ، وبين الانغماس فى السياسات والمشكلات العالمية .

## * الولايات المتحدة الأمريكية :

تنفـرد الولايات المتحدة الأمـريكيـة بأنها الوحيدة فى التـاريخ الحديث فى النمـو المتطور سريعاً ـ بـلا نظير ـ خلال أجيـال قليلة ، فتتحـول بسلاسـة وهدوء من مجتمعات زراعية منكمشـة محدودة الأثر ، إلى دولة ذات حضارة قـارية تملك زمـام أكبر وأقوى تمركـز اقتصـادى وحربـى فى العالم . ولقـد استفادت جغرافيًّا ، واقتصاديًّا ، واستراتيجيًّـا مما أضافته إلى مساحتها من

اتســـاع ، بشرائهـــا ولاية ألاسكا من روسيـــا ( ١٨٦١ ) بمبلغ ٧٢٠٠٠٠٠ دولار! ، ثم جزر هاواى (١٨٩٨) . وبعـد حروب طويلة متـوالية ضـد قبائل السكان الوطنيين ( الذين يُطلق عليهم « الهنود الحمر » وأُبيد منهم ملايين )، واستمرت حتى عام ١٨٩٠ اتسع نطاق المدنية الصناعية ، حتى شمل الغرب الأمريكى كله ، وانحصرت بقايا تلك القبـائل الهندية فى محميات معزولة قليلة العدد .

وساعد النمو السكانى فى الإسراع بالنمو الاقتصادى والاجتماعى :

| عـــام | |
|---|---|
| ١٧٩٠ | ٣٩٢٩٠٠٠ |
| ١٨٣٠ | ١٢٨٦٦٠٠٠ |
| ١٨٨٠ | ٥٠١٥٥٠٠٠ |
| ١٩٠٠ | ٧٥٩٧٤٠٠٠ |
| ١٩٢٠ | ١٠٥٧١٠٠٠٠ |
| ١٩٥٠ | ١٥٠٦٩٧٠٠٠ |
| ١٩٩٠ | ٢٤٨٧٠٩٠٠٠ |

وأضـافت الزيادة المستمـرة فى أعداد المهـاجـرين إليهـا قدرات جـديدة ، وقـوى بشرية منتجـة متـلاحقـة . وابتـداء من عـام ١٨٨١ زادت هجـرة الجماعـات البشرية بكثـافـة من جنوب وشرق أوروبا . وفى الوقت نفسـه نشطت الهجرة الداخلية بأعـداد ضخمة من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال . ولما كـان معظم المهـاجـرين يفضل سكنى المدن ، فقـد ارتفعت سريعاً نسبة سكان المدن من ١٦ ٪ عام ١٨٦٠ إلى ٣٣٪ عام ١٩٠٠. وفى عام ١٩٢٠ كانت الغالبية من الشعب الأمريكى تقيم فى المدن .

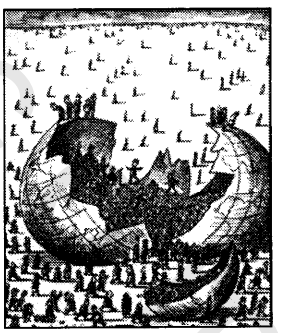

وربما كـان هذا التغير الاجتماعى السريع ـ التحـول من المجتمع الريفى الزراعى إلى المجتمـع المدنى الصناعى ـ هو أبرز معـالم القـرن العشرين ، وأبعـدها أثراً ، سـواء فى أمـريكا ، أم فى بلاد كثيرة غيرها . لكن الهجـرات المتلاحقة المكثفة إلى الولايات المتحدة ـ مع الزيادة السكانية المتوالية ـ أمدتها

بأيد عاملة قوية ومستمرة ، ساعدت على اكتشاف واستغلال مصادر الثروات الطبيعية الهائلة التى تمتلكها تلك الدولة ، بالإضافة إلى تطور وتسارع نظم الاتصال والنقل والمواصلات ، وأساليب الصناعة والتجارة والتسويق ، مع نمو متلاحق فى الاختراعات والتطبيقات التكنولوجية .. حتى إنه فى عام ١٩١٠ ، بلغ إنتاج الولايات المتحدة وحدها من الحديد والصلب ما يفوق إنتاج بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر معاً . وفى عام ١٩٢٠ أنتجت الولايات المتحدة واستهلكت من زيت البترول نحو ثلاثة أرباع الإنتاج العالمى كله . وظهرت بها صناعات جديدة ضخمة ومتطورة فى أوائل القرن العشرين ، من أبرزها صناعة السيارات .

* هنرى فورد

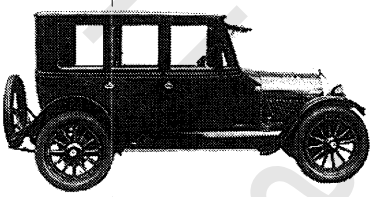

سيارة أمريكية إنتاج ١٩٢٠

يعتبر هنرى فورد رائد نظرية الإنتاج بالجملة ( فى صناعة السيارات ) التى غيرت من نظريات الاقتصاد داخل أمريكا ، وفى العالم كله ، وغيرت بالتالى فى نظم المجتمع . أصبح « خط التجميع » سمة مميزة فى المؤسسات الصناعية الكبرى .

وإزاء تكتل أصحاب المصانع ورءوس الأموال ذوى السيطرة والحظوة وتركيز الثروة ، وتكوينهم للشركات العملاقة والاتحادات الاحتكارية ، تكوَّنت ونشطت نقابات العمال ، لكنها ظلت لفترة أضعف من مثيلاتها فى دول أخرى صناعية ، فوقفت فى مواجهة سيطرة وقوة نفوذ واستغلال أباطرة الصناعة ، إلا أنها تطورت واشتدت مع مرور السنين ، بعد مساجلات ومصادمات مع أصحاب المصانع ، ومالكى الثروة .

فلما صارت الولايات المتحدة القوة الاقتصادية الأولى فى العالم ، كان عليها أن تنظر نظرة جديدة إلى الدول والشعوب والأحداث ، وتدخل فى تيار

مشكلاتها ، بل وتلعب دوراً أكبر فى مجال السياسات الدولية .. فانضمت إلى قائمة القوى الإمبريالية ، وغَدت عاملا رئيسيًّا فى الديبلوماسية العالمية ، خاصة أثناء رئاسة تيودور روزفلت( ١٩٠١ ـ ١٩٠٩ ) ورئاسة وودرو ويلسون ( ١٩١٣ ـ ١٩٢١ )

تيودور روزفلت

## * روسيا :

على الرغم من أن روسيا كانت قوة كبيرة مؤثرة فى القرن التاسع عشر ، إلا أنها كانت أقل تطوراً ونمواً من الولايات المتحدة الأمريكية بمراحل .. فكان الشعور بالتخلف والنقص ذا تأثير على فكر وآراء الأدباء والسياسيين الروس ، فى مقابل الإحساس بالنضج والثقة بالنفس لدى الرأسماليين الأمريكيين .

وشهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر نزاعاً فكرياً بين اتجاهين متغالبين داخل روسيا : بين المناصرين للسلافية ، الذين يروْن أن خلاص روسيا يكمن فى العودة إلى تقاليدها وموروثاتها الدينية الأرثوذوكسية ،وبين « المتغربين » الذين يهاجمون الدين ، ويؤيدون كثيراً من الأفكار العملية الغربية المتحررة . وفى غيبة طبقة تجارية ثرية(يسميها البعض بورجوازية ) ، لم ينجح التيار الليبرالى المتحرر فى أن يصير قوة فعالة وموجِّهة للسياسة داخل روسيا ، فظلت سلطة الحكم الفردى المسيطر ـ حتى سنة ١٩١٧ ـ هى المحدِّدة للمسار الاجتماعى والاقتصادى ، أى تلعب الدور نفسه الذى كانت تضطلع به الحكومات فى معظم الدول الكبرى آنذاك .

وودرو ويلسون

كانت المشكلات الزراعية هى الغالبة على أفكار السياسيين والاقتصاديين الروس . تفاقمت تلك المشكلات وتعقدت ، وساءت آثارها بعد أن أصدر «القيصر المحرِّر » قانون إلغاء الرق الزراعى ( تسخير الأقنان أو عبيد الأرض فى الزراعة ) بدون الإعداد السليم والملائم لما يترتب عليه . وزاد تعقد المشكلة بارتفاع تعداد السكان فى فترة زمنية قصيرة .. ففى المناطق الزراعية من وسيا الأوروبية ارتفع عدد السكان من ٥٠ مليوناً سنة ١٨٦٠ إلى ٨٢ مليوناً سنة ١٨٩٧ ولم يحل المشكلة تهجير ثلاثة ملايين فلاح ـ حتى سنة ١٩١٤ مناطق نائية فى سيبيريا لاستصلاحها . ولم تنجح مشروعات تشجيع الإقامة بالمناطق الجديدة فى إيقاف زحف الهجرة إلى المدن وترك الحقول . ولم يكن فى المدن مجالات صناعية أو حرفية تستوعب هذه

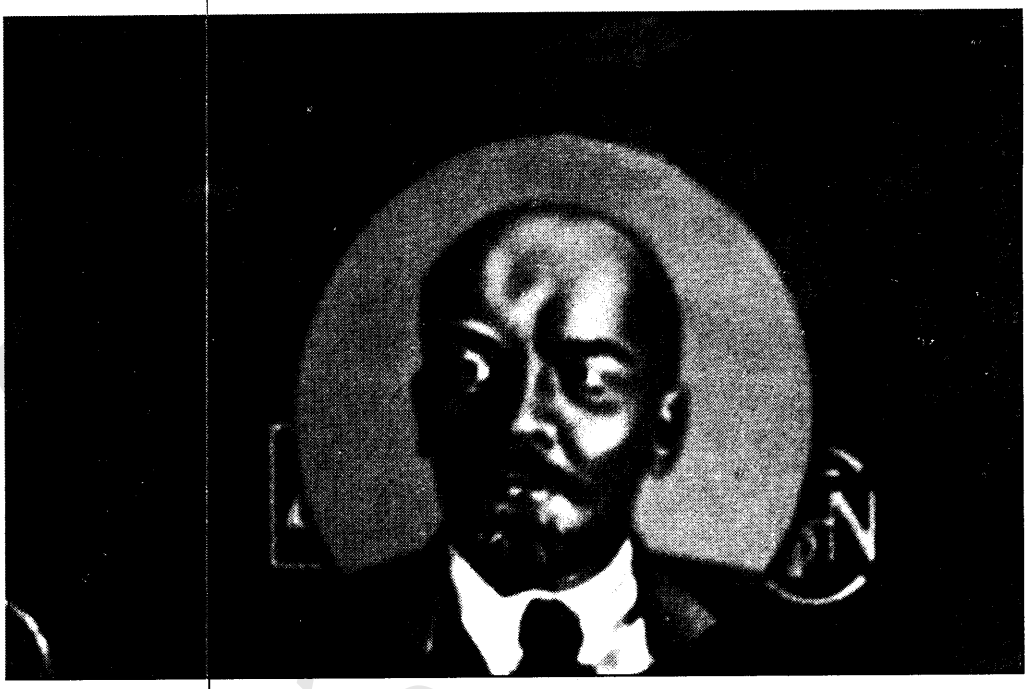

لنين يخطب فى الجماهير

الهجرات النازحة المكثفة غير المدرَّبة . وبدأ تطبيق نُظم ومشروعات ، كان من المقـــدر لها أن تحقق نجـــاحـــاً وتطوراً داخل المجتمع الروسى ـ الريفى والحضرى ـ إلا أنها لم تُستكمل ، وانهارت بسبب الحرب العالمية ( ١٩١٤ )، وبسبب الثورة والحرب الأهلية .

حوَّلت الثـورة الروسية البولشفيـة الفلاحين ( الأرقاء سابقـا ) إلى ملاَّك للأرض، ولكن حتى سنة ١٩٢٠كـان الإنتـــاج الزراعى أقل بكثير مما كـان عليـه فى أول القـرن. ثم أحدث برنامـج ستالين ( بعـد عـام ١٩٢٩ ) لتكوين التجمعـات الزراعية الإجبـارية ، الذى صـاحبه قتل جماعى للمعـارضين أو المناهضين لسيـاسته [١]، أحـدث رِدة اقتصادية واجتماعيـة ، وأعـاد شبح الاختلال والفوضى.. فظل الإنتاج الزراعـى الروسى متخلفاً بشدة عن إنتاج أوروبا والشمال الأمريكى ، فـاضطرت روسيا ـ التى كانت تصـدر الحبوب والغـلال قبل الثورة ـ إلى استيراد الحبـوب بكميات كبيرة سنة ١٩٧٠ ومـا بعدها من الولايات المتحدة ـ العدو اللدود ـ وكندا .

---

(١) مـلاحظة عـابرة لحين الحديث عن الثـورة الروسيـة : على الرغم من عنف سيـاسـة ستـالين الدمـوية وجبروته وسيطرته القابضـة إلا أن الحكايات عنه مبالغ فيهـا أحيانا ، وقـد تغفل ظروف بيئته وعصره والعوامل المحيطة به ، ثم إنه دفع روسيا دفعة قوية نحو التطوير ، وضخم اليهود سوءاته لعدائه لهم.

إلا أن النمو الصناعى الروسى كان حقـاً متزايداً ومُلفتاً للنظر ، وهو الذى جعل منهـا « قـوة عظمى » فى القـرن العشريـن . وكـان أسـاس هذا التطور الصناعى السريع : التمـويل الأجنبـى ، خـاصـة من فـرنسـا ، مع التركيـز الصـارم على إنتـاج المناجم والصناعـات المعـدنيـة ، وعلى إنشـاء الوحـدات الصناعية الضخمة ، وعلى تدخل الدولة بقوة وحزم فى التصنيع .

ستالين فى سنوات ماقبل الحرب العالمية الثانية .

وقد حقق الإنتاج الصناعى نجاحًـا كبيراً ، بمعدل نمو سنوى مقداره ٨٪ فى الفترة بين عـام ١٨٩٠ و ١٩٠٦ ، وكـذلك بين عـام ١٩٠٦ ـ ١٩١٣ . لكن سنوات الحرب العظمى والحرب الأهلية ( بين ١٤ ـ ١٩٢١ ) كـانت مأساوية بالنسبة للصناعـة ، فاضطر الحكم الشيـوعى إلى انتهاج سياسـة رأسمالية محدودة فى الفترة بين ١٩٢١ ـ ١٩٢٩ للنهـوض من الانهيـار الاقتصـادى ، فعـاد الإنتاج الصناعـى إلى مستواه قبل الحرب ، فى الوقت الـذى واجه فيـه الاقتصاد الغربى أزمته الاقتصـادية الشهيرة عام ١٩٢٩ ،فأصبحت روسيا فى مقدمة الدول الصناعية ، واستمـر النمو الاقتصادى بها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

فـى الفتـرة بين ١٩٥٠ ـ ١٩٨٠ ارتفـع النمـو الاقتصـادى الـروسى من $\frac{1}{3}$ إلى $\frac{2}{3}$ النمو الاقتصادى الأمريكى . ومع ذلك .. كان الإنتاج الصناعى

الاتحاد السوفيتى

الروسى أقل جـودة . ومنذ ١٩٦٠ اضطرت روسيا إلى استيراد التكنولوجيـا المتقدمة ، وإلى جذب رأس المال الأجنبى . وشـهـد القرن العشرون ميلاد حكم النظام الشيوعـى(بثورة أكتوبر ١٩١٧ ) ، وطـابعها : « ديكتاتوريـة الطبقة العاملة ـ البروليتـاريا)، كما شـهد أيضاً انهيـار هذا النظام بكامله فى ديسمبر ١٩٩١ ، كما سوف يأتى بالتفصيل .

## * اليابـان :

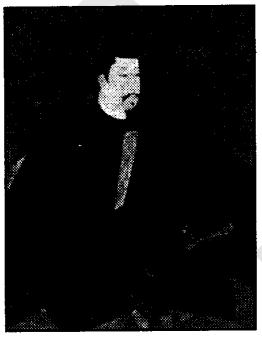

بدأت الإصلاحـات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية فى اليـابان حول عام ١٨٨٥مع التركيز الشديد على التعليـم المجانى .. فلما جاء عام ١٩٠٥ ، كان ٩٠٪ من أطفـال اليابان ملتحقين بالمدارس ، وتضـاعفت أعداد المدارس الثانوية وكليات التعليم الفنى والصناعـى ، وتكوَّن لليابان جيش كبير حديث التنظيم ، وأسطول بحرى متطور .

كـان الإصـــلاح الاقتصـادى هو ركيـزة التغيرات الكبيرة التـى شـهـدها المجتمع اليـابانى فى مطلع القرن العشرين . وأشرفت الحكومـة بعزم وحـزم على برامج التصنيع ، خـاصـة فى مجال الصناعـات الاستراتيجيـة : كإنتـاج الأسلحة والذخيرة، وبناء السفن ، والنسيج . وتضـاعفت الصادرات ، وحدث انتعـاش اقتصـادى ضخم ،ابتداء مـن عام ١٨٩٥ . وقبيل الحرب العـالميـة الأولى ،زاد إنتاج المصنوعات اليابانية ، وإقبال الأسواق العالمية عليها .

ثم كانت قفزة صناعية اقتصادية فى الفترة بين ١٩١٥ ـ ١٩٢٠ . وفى عام

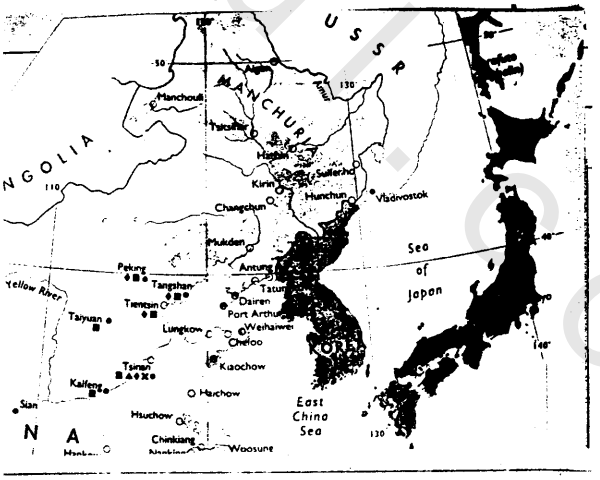


اليابان وشرق وجنوب شرق آسيا

١٩٣٦تفوقت اليابان على بريطانيا ، إذ أصبحت المصدرة الأولى للمصنوعات القطنية فى العالم . وأدى التطور الصناعى الكبير إلى النمو الحضرى واتساع المدن. وبينما كان ١٢ من سكان اليابان يعيشون فى المدن سنة ١٨٩٥ ، زاد عددهم إلى نسبة ٤٥٪ سنة ١٩٣٤ .

إلا أن صناعات اليابان كانت تعتمد أساساً على الإنتاج الفردى والصناعات الصغيرة . وفى الفترة بين عامى ١٩٢٠ ـ١٩٣٠ لم يكن فى اليابان كلها سوى شركتين كبيرتين صناعيتين : ميتسوى Mitsui، وميتسوبيشى Mit-subishi، لكن نقطة الضعف الكبيرة فى الاقتصاد اليابانى كانت تكمن فى اعتمادها المتزايد على استيراد المواد الخام .. ففى سنة ١٩٣٠ كانت تستورد

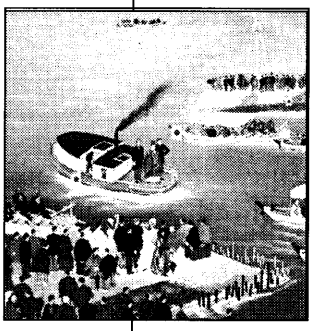

من اليابان فى مطلع القرن ٢٠

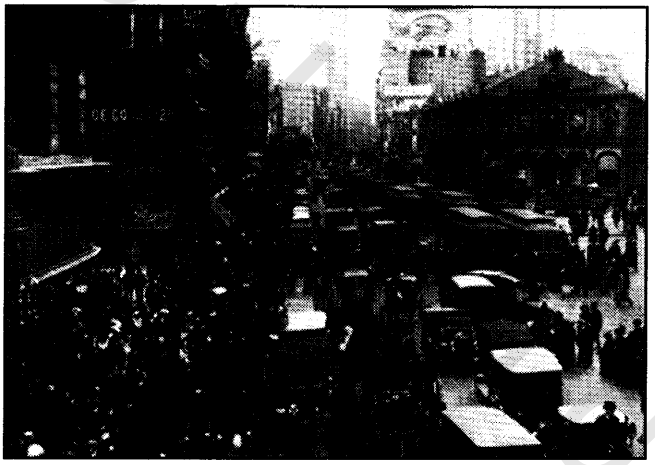

نيويورك سنة ١٩١١

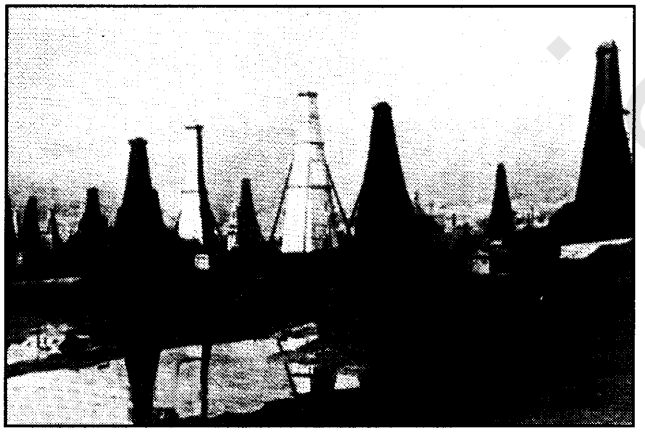

الصناعة فى روسيا أوائل القرن العشرين.

كل احتياجاتها من الفحم ، وكذلك ٨٥ ٪ لمواد الخام للحديد والصلب ،وأيضا ٧٩٪ من النفط ، وجانباً كبيراً من مواد الطعام . وقد دفعها هذا إلى انتهاج سياسة إمبريالية ( توسعية مسيطرة ) .. فكانت حرب اليابان ـ الصين (١٨٩٥) انتصرت فيها اليابان . ثم أحرزت انتصاراً آخر على روسيا فى غزوها لها عام ١٩٠٤ ، فانتزعت اعتراف روسيا بالسيادة اليابانية على ممر سخالين، وعلى كوريا التى ضمتها اليابان إليها عام ١٩١٠ .

بهؤلاء الثلاث : الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا ، واليابان ، كقوىً كبرى جديدة أو متجددة ، بدأت تتغير معالم السياسة والاستراتيجية العالمية فى أوائل القرن العشرين ، فى الفترة التى سبقت نشوب الحرب العظمى عام ١٩١٤.

## * الشرق الأوسط :

حرصت بريطانيا كل الحرص على أن تضع يدها على أكبر مساحة من منطقة الشرق الأوسط ، لأهميتها السياسية والاقتصادية والدولية ( فهى قلب العالم ) ، ولتأمين طرق مواصلاتها إلى الهند وشرق أفريقيا ، حيث مستعمراتها المتدفقة بالخيرات . نازعتها فى ذلك .. فرنسا (وأحياناً روسيا) ، فاقتسمتا المصالح فيما بينهما ومناطق النفوذ أو الاحتلال . وقديماً، كانت السيادة البحرية فى منطقة الشرق الأوسط للدولة العثمانية، حتى إن البحر المتوسط كان يُعرف بأنه بحيرة إسلامية، إلى أن هزم الأسبان الأسطول العثمانى فى موقعة ليبانتو (١٥٨٨) قبل أن تظهر قوة إنجلترا البحرية العالمية. ثم ظهر التفوق فى البحر المتوسط للأسطول الفرنسى والهولندى .

ولما احتلت إنجلترا جبل طارق ( ١٧٠٤) أقامت به قاعدة بحرية ، وتفجرت أطماعها التوسعية ؛ فاستولت على ميناء ماهون بجزيرة منورقة

---

(*) يطلق تعبير الشرق الأوسط على الدول شرقى البحر المتوسط ( تركيا ، لبنان ، سوريا ، الأردن ، فلسطين ، مصر ) ومعها المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية ( الكويت ، البحرين ، قطر ، الإمارات العربية المتحدة ، عمان ، اليمن ) ، ويمتد هذا المصطلح أحياناً ، ليشمل السودان ، وليبيا ، والمغرب العربى ، (تونس ، الجزائر ، المغرب ) وأيضا يغطى جزئيا مناطق منضمة للشرق الأقصى : أفغانستان ، إيران ، باكستان ، الهند . ومصطلح «الشرق الأدنى » تدخل فيه بعض هذه الدول شرقى البحر المتوسط مع دول البلقان والدول المطلة على البحر الأسود .

(١٧٠٨)، وأقامت به قاعدة بحرية أخرى ، فأصبحت لها السيادة على القسم الغـــــربى من المتوسط، والقدرة السيادية على سواحل إسبانيا وفرنسا وإيطاليا مـن الجنوب . لكن موقعة أبو قير البحـرية ( ١٧٩٨) منحتْ إنجلترا مفتـاح السيطرة النهائيـة على الطرق البحرية المؤدية إلى الهند وآسيـا وشرق أفريقيا، والقـدرة على تهديد المصالح الفرنسية فى الشـام ( سوريا/لبنان )، وكذلك القـدرة على التصدى لأطماع القيصر الروسى فى الوصـول إلى البحار الدفيئة . وعندئـذ ارتكزت سيـاستهـا واستراتيجيتهـا الخارجيـة على تدعيم سيادتها وسيطرتها الكاملة على المنطقـة، وإرهاب من تحدثه نفسه بالاقتراب منها، أو المساس بخيراتها .

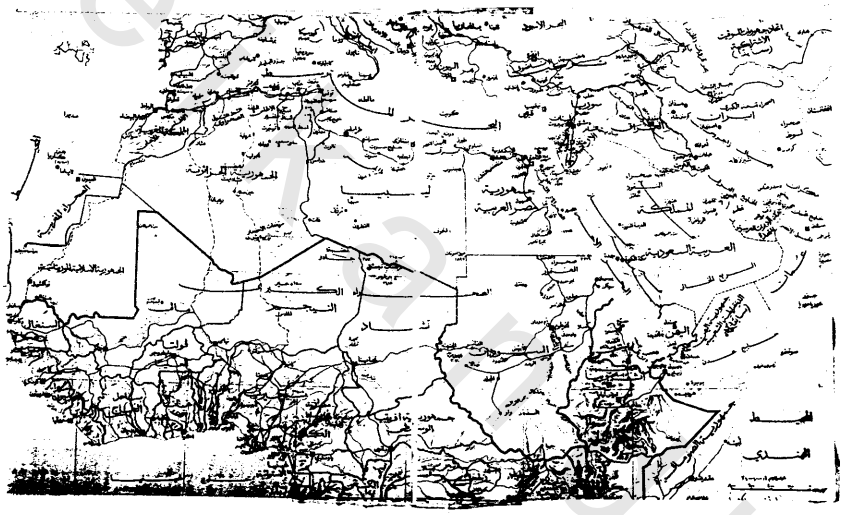

وكانت تـركيا ( الدولة العثمانية ) فى حـالة متدهورة مـن الهزال الشديد، والفسـاد الأشـد،أسلماها إلى الاحتضـار . لقد شـاخت الخلافـة العثمانيـة وأناخت. وإذ فقدت مقومات القوة والثبـات كَبَتْ وهَوَت. واستغرق سقوطها القرن التاسع عشر بأكمله، وبعضـاً من العشرين .فالإمبراطوريات الكبرى لا تسقط فجأة بين عشيـة وضحاها، وإنما تركـع، ثم تزحف، وقد تقـاوم وهى تنزف، فإذا ما تلقَّت ضربة قـاضية، وإن كانت واهية، لفظت أنفـاسها قائلة : «ذَهَب عنى سُلطانيهْ » .

فى فترة احتضـار الدولة « السَّنيـة » العثمانية، وقفت بريطـانيا متربصـة مترصـدة. وأزعجتها كثيراً تطلعـات محمـد على باشا والى مصر فى التـوسع، ومضـاعفـة قـوَّته العسكرية وأسطـوله البحـرى ، وبهما هدد تركيـا ذاتها،

فأسرعت بريطانيا تقف على باب غرفة « الرجل المريض » الراقد على فراش الموت، لا رعاية له وحماية، وإنما لكى تستأثر هى بالميراث، فأخذت تراقب أنفاسه ، وتحاصر حراسه ، إلى أن يحين القدر المحتوم فى وقته المعلوم . وهكذا ، حرصت سياستها بقوة على انتهاج تلك الخطة، مهما كابدت عنتاً وشدة .

وفى منطقة الخليج العربى، كانت بريطانيا أكثر اطمئناناً على مركزها، بعد أن عقدت معاهدات مع أمراء المنطقة، وراح نفوذها يزداد مع الأيام ويقْوى، بلا حرج أوخشية من استانبول .. فالدولة « العلية » لم تكن كبيرة الاهتمام بتلك المنطقة، إلا من حيث المظهر السيادى، واتساع مظلة السلطنة. وفى المقابل، لم تكن إدارات تلك المنطقة تكترث بسلطان الدولة،إلا من حيث الشكل: فالولاء الدينى مكفول لخليفة المسلمين .

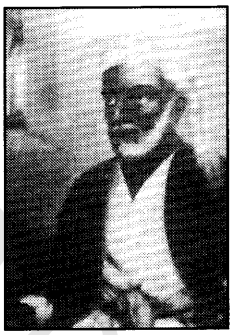

الأمير سعيد بن سلطان مؤسس الدعائم القوية والأسطول البحرى لسلطانة عُمان .

كانت الهند وجنوب آسيا أقرب إلى عُمان وأقوى فى العلاقات من استانبول. فى عام ١٨٩١ قدت بريطانيا معاهدة مع الأمير أحمد بن سعيد والى سلطنة مسقط « تعهد فيها بالنيابة عن نفسه، وعن خلفائه بألاَّ يتنازلوا عن أى جزء من أراضيهم، أويؤجروها، أويرهنوها، أويسمحوا باحتلالها، لأى دولة أخرى غير بريطانيا » . وادَّعَتْ بريطانيا أن عُمان محمية بريطانية، إلا أن محكمة العدل الدولية قضت فى عام ١٩٠٥ بأن عمان دولة مستقلة .

وفى عام ١٨٩٢ عقدت بريطانيا معاهدة مع كل شيخ من شيوخ الإمارات الساحلية بالخليج العربى. وتعهدت بريطانيا بدفع معونة مالية، مقابل « ألاَّ يعقد معاهدة مع دولة أخرى غير بريطانيا أو يتصل بسواها، وألا يأذن لوكيل أية دولة أجنبية بالإقامة فى أراضيه، أويبيعه، أويؤْجره، أويَهَبه، أو يأذن لدولة أجنبية غير بريطانيا باحتلاله » .

وكانت قطر جزءاً من إمارة البحرين، وترتبط مع بريطانيا بعلاقات وطيدة. فى عام ١٩١٣ قَّعت بريطانيا معاهدة مع تركيا « لسحب حاميتها من قطر، والتخلى عن مطالبها فى هذه الإمارة » . فلما ظهر البترول فى أراضيها، زاد حرص بريطانيا على تثبيت نفوذها وأقدامها فى تلك الإمارة .

كانت جُزر البحرين مطمعًا لفارس ( إيران )، وتَزْعُم مِلكيتها لها .. فعقدت بريطانيا عام ١٨٩٢معاهدة مع شيخها، تماثل ما سبق من معاهدات مع شيوخ الإمارات الأخرى .

الملك عبد العزيز
آل سعـود

أما الأحساء ( التى هى الآن جزء من المملكة العربية السعودية )، فكانت تابعة لتركيا، وتخضع لنفوذها، إلى أن أغار عليها ـ ١٩١٣ـ عبد العزيز بن سعود، وطرد الحامية التركية بها. ولما كانت تركيا آنذاك مشغولة بحروبها مع إيطاليا ودول البلقان، فإنها آثرت الخضوع للأمر الواقع، وأقرت ابن سعود والياً على نجد والأحساء. وفى عام ١٩١٥ عقد الإنجليز معاهدة معه «اعترفوا فيها باستقلاله فى نجد وملحقاتها، مقابل امتناعه عن الارتباط بعلاقات مع أى دولة أخرى غير بريطانيا، وعلى أن يُخبر بريطانيا عند محاولة أى دولة للتدخل فى شئونه » .

والكويت .. كانت أفقر إمارات الخليج فى مواردها. وكان أهم ما بها ـ قبل اكتشاف البترول ـ ميناءها الطبيعى الذى يَفْضل الموانىء الأخرى بالخليج، وهو مدخل إلى العراق، وإلى الجزيرة العربية، وصالح للملاحة طوال العام. فلما ظهرت مطامع روسيا فى المنطقة ، والسيطرة على هذا الميناء، وكذلك مطامع الألمان الذين أرادوا أن يجعلوه نهاية خط بغداد للسكة الحديد ( الذى تولوا تنفيذه)، أسرع الإنجليز بعقد معاهدة مع أمير مُنْشَقّ على الأسرة الحاكمة ـ ١٨٩٩ ـ اعترفوا فيها بحقه بالإمارة، واستقلالها، على أن يلتزم بما التزمت به الإمارات الأخرى. وفى عام ١٩٠١ وافقت تركيا على المركز الذى اكتسبه الإنجليز فى الكويت، مقابل التعهد بعدم احتلالها، أو إخضاعها لهم. وفى اتفاقية عام ١٩١٣ التى عُقدت بين تركيا وبريطانيا ، اعترف الإنجليز بأن «الكويت تابعة لتركيا ، فى مقابل اعتراف تركيا بشرعية الاتفاقات المعقودة بينهم وبين أمير الكويت ». وفى عام ١٩١٤ قاموا بها وكالة سياسية .

أما العراق ، فكان ولاية تركية كبيرة. يتميز بموقعه الجغرافى، وبثرواته من الأراضى الخصبة، والمياه الوفيرة .لكنه كان من أقل الولايات العثمانية خضوعاً للسلطان، لبُعده عن استانبول، وانعزاله بنطاقات من الجبال وبمساحات واسعة من الصحراء .. فكان اتصاله بإمارات الخليج العربى، وبخطوط تجارته النشطة أقوى وأوثق .. فكان من الميسور على الإنجليز زيادة نفوذهم فى العـراق، خاصـة أن أحوالـه الاقتصادية كانت متخلخلـة

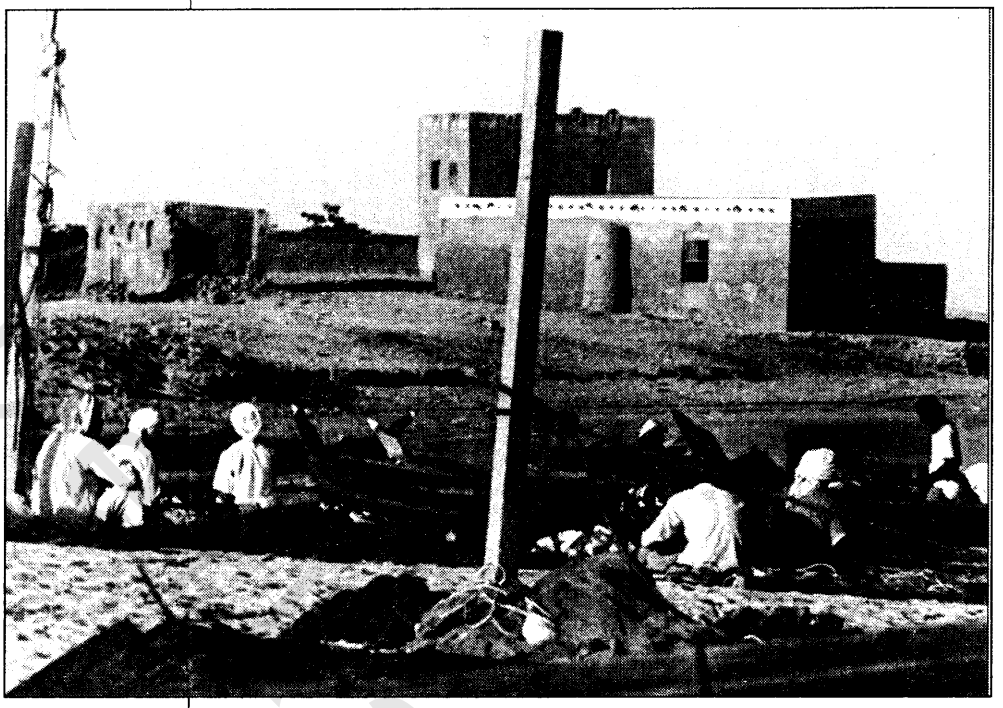

* صور من إمارات الخليج العربى فى مطلع القرن العشرين

متخلفة، وخطوط مواصلاته الداخلية متعثرة سيئة ، مع فقر غالب على سكانه. وفوق ذلك .. كان يئن من الفتن والمنازعات التى كانت تشجعها بريطانيا فى الخفاء، لتمكن لنفسها فيه، وتبسط نفوذها عليه .